صور من الحياة

بقلم

محمد عبد المنعم مطر و محمد عبد الغني حسن

بالمعهد الأزهري

(حقوق الطبع لهما)

سنة

١٣٥٢ هـ ١٩٣٤ م

obeikandl.com

اهداء

الى الازهر في نهوضه متمثلا فى شبابه وشيوخه

الى الشباب المثقف والوطن المفدى

الى الفضيلة في عليائها

نهدى باكورتنا هذه

المؤلفان

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم الشاعر المطبوع

الاستاذ ابراهيم على بربرى

. . . وأخيرا تعرف الى الشيخان الفاضلان (. . .) وعرضا على طائفة من صور هذا الكتاب ، رجاء أن اكتب عنه كلمة بريئة فاحصة ، تقدمه الى اصدقائه ، وتتحبب به الى قرائها

وقد كنت على ان اعتذر عن هذه المهمة ، لولا ما للشباب الواثب عندى من تقدير ، ولولا ما فى الأزهر اليوم من نهضة ادبية مباركة ، يجب تغذيتها وتشجيعها حتى تدرك آمالها الكبار ، وتحقق أمانيها العذاب . واذا كان الازهر القديم منهل العلم السائغ وشمس العرفان الوضيئة . فقد أصبح الازهر الحديث يضم الى هذا ، الادب الرائع والفن الممتع ، ويجمع بين مجادة القديم وطرافة الحديث ، ويصل بين العلم والأدب بصلات اقوى من القرابة والنسب

وانى لكبير التفاؤل بمستقبل هذه الوثبات الأزهرية الجريئة وحبذا لو صادفت من اولياء الامر غذاء كافيا ، وريا شافيا . اذاً لرأيت فى الازهر من الأدباء من يرفعون للادب رايته ، ويعيدن له روعته ونضارته

هذا ، وبين يدى الآن هـذه الطائفة من صور هذا الـكتاب استعرضها جميعا بعين الرضا والارتياح ، وروح التقدير والاعجاب ويكفى ان يكون هذا العمل دليلا على مافى صدور هذين الشابين من قلوب فتية ، وعزائم قوية ، ارجو أن تواصل سيرها الى النهاية حتى تدرك الغاية . كما يكفى ان يكون هذا الـكتاب صورا من الحياة ناطقة بالواقع ، والواقع المحس المتكرر الذى كثيرا ما يصدف كثيرا من الناس دون ان يستطيع السخط عليه او التعبير عنه

واذا كانت الـكتابة نتيجة الشعور ، ووليدة الاحساس . ففى الـكتاب شعور واحساس ، يـكفى فى تصورهما تلك العبارات اللاذعة ، والجمـل المقذعة التى يوجهها الـكتاب الى تجار الاعراض وعبيد الشهوات والاغراض واذا كانت الـكتابة تحتاج مع ذلك الى التعمق والصقل والتغلغل فى احشاء الامور فاني اطمع فى هذه الـكتابة منهما فى القريب العاجل مادامت يواصلان هذه الخطوات الرشيدة والتنقلات الموفقة

ولا يسعنى بعد إلا أن ابدى اعجابى بهذا العمل الجليل راجيا من شباب الازهر المعمور ان يضاعف الجهود ويتابع الترقى الصعود ، حتى يخرج لنا ادبا قويا غلابا يتناسب مع ماهذا المعهد الـكبير من ماض مجيد وحاضر سعيد . كما اتمنى ان ينال هذا الـكتاب من القراء ما يستحقه من تشجيع واقبال ؟

ابراهيم على بديوى
بكلية اللغة العربية

المرأة بين الماضى والحاضر

ظلت المرأة ردحا من الزمن تحت نير الذل والاستعباد تتناوبها يد الشقاء وتتداول عليها صروف الحوادث وتحيط بها مصائب أثقلت كاهلها وأوقفت تقدمها الذى تنشده لنفسها وينشده المجتمع لها ونظر الرجل إليها نظرة احتقار وازدراء فكانت فى الجاهلية كسلعة تباع وتشترى وكانت ترغم على الزواج بمن يختارونه لها وعلى أن تكون موسما تتجر بعرضها وتفرط فى عفافها فى سوق الأعراض. ولقد بالغوا فى غمطها حقها وهضمها نصيبها فساموها سوء العذاب وجرعوها كأس الهوان حتى ثمالتها

ظلموها فى كل شيء حتى فى هذا الحق القدس (حق الحياة) الذى وهبه الله سبحانه لجميع الأفراد لا فرق بين حر وعبد وعربى وأعجمى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

نظروا اليها نظرة احتقار وزراية لا لنقص فى كفايتها ومقدرتها ولا لخور فى عزيمتها وضعف فى خلقها ولكنه الظلم والعسف وما فطرت عليه طباعهم من الجور والطغيان وجبلت عليه نفوسهم الأمارة بالسوء من الأنانية التى وصموا بها بعد أن أشربت قلوبهم حب المال وتهافتوا عليه وتطلعوا اليه . وحسبك دليلا على

ذلك ماتعوده العرب فى جاهليتهم من ظلم وقسوة وعنت وشدة . من ذلك أن قبيلة تميم كانت تئد فتياتها خشية الاملاق وكان من أفراد هذه القبيلة من يأمر زوجه عند الوضع بالذهاب إلى الفلاة ويحفر لها حفرة يجلسها عليها فاذا أتت بذكر ارتدت إلى بيتها آمنة مطمئنة فرحة مستبشرة وان رزقت بأنثى وضعتها فى الحفرة وهالت عليها التراب وأتت الى بيتها بقلب متحجر قاس لا يحن ولا يشفق وبعض العرب كان يبقى ابنته مادام فى حاجة اليها لرعى أو غيره حتى اذا عن له سبب في التخلص منها أخذها واحتفر لها حفرة وألقاها حية وأهال عليها الثرى وانقلب الى أهله مسرورا كذلك كان بعض العرب فى الجاهلية يئدون الأعراض وينتهكون الحرمات

ومن ذلك أنه كان لطسم وجديس ملك يقال له «عمليق» جبار عنيد كانت لا تزف بكر الى بعلها إلا بدأوه بها فافترعها وردها إلى بعلها . وحدث أن تزوج رجل من جديس غفيرة بنت غفار من رؤساء جديس فلما أرادوا أن يهدوها الى بعلها بدأوا الملك بها فدخلت عليه ومعها القيان يتغنين ويضربن بالدفوف ويقلن

ابدى بعمليق ومعه فاركبي وبادرى الصبح بأمر معجب

الخ . . .

فجعلت تقول وهى تزف !

ما أحد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس
يرضي بهذا يا لقومي حر من بعد ما أهدى وسيق المهر
لأن يلاقى المرء موت نفسه خير له من فعل ذا بعرسه

فلما دخلت عليه افترعها ثم خلى سبيلها فخرجت ووقفت على أخيها الأسود بن غفار وهو جالس فى نادى قومه وأنشأت تقول

أيصلح ما يؤتي الى فتياتكم وأنتم رجال كثرة عدد الرمل
وترضون هذا يا لقومي لأختكم عشية زفت فى النساء الى البعل
فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء في المنازل والحجل
ودونكم طيب النساء وانما خلقتم جميعا للتزين والكحل
فلو أننا كنا رجالا وكنتم نساء لكنا لا نقيم على دخل
فقبحا لبعل ليس فيه حمية ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

الى أن قالت :

ولا تخرجوا للحرب ياقوم انها تقوم بأقوام شداد على رجل
فيهلك فيها كل وغد مواكل ويسلم فيها ذو الطعان وذو القتل

فلما سمعت جديس شعرها أنفت أنفا شديدا وأخذتهم الحمية وعزموا على قتل الملك ورجاله وتم لهم ما أرادوا بعد حيلة دبروها

وانا لنعجب كل العجب من العرب فى الجاهلية فكما كان فيهم رجال انتزعت من قلوبهم الرحمة والشفقة والعطف والحنان فقد كان فيهم رجال طبعوا على حب الانسانية وانتشالها من عثارها. من ذلك

مايحكى عن غالب بن صعصعة (عم الفرزدق) انه كان اذا ماسمع أن رجلا عزم على وأد ابنته خوف الاملاق أسرع فأرسل اليه من الابل ما يغنيه لينجى هذه البائسة المسكينة من قبضة الموت ظلما وعدوانا وهى البريئة . وفي ذلك يقول الفرزدق :

وعمى الذى منع الوائدا ت وأحيا الوئيد فلم توأد

ولو نظرت معى أيها القارىء فى تاريخ هؤلاء لوجدت العجب العاجب مما يحمر منه وجه الانسانية خجلا ويذهب بعقل الانسان كمدا وحزنا فقد كانوا يتبرمون بالنساء ويئنون منهن ويعتبرون المرأة حملا ثقيلا ينوء كاهل الرجل عن القيام به . حدث عن الحزن الشديد الذى يصيب الرجل إذا ما بشر بالانثى وحدث عن الحيل الشيطانية التى يدبرها الرجل للخلاص منها ظلت المرأة كذلك مهيضة الجناح مطأطأة الرأس ترسف فى قيود الذل والهوان حتى جاء الاسلام وعلى رأسه رسول السلام محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فنظر الى هؤلاء الجفاة الغلاظ الشداد فوجدهم قد ضربوا في سوق الرذيلة بسهم وافر واستحكمت من نفوسهم العادات القبيحة

فنادى باستئصال أشجار الفتنة عن آخرها واجتثاث جراثيمها حتى لا تفتك بالعقول فيهوى المجتمع فى مكان سحيق

جاء الاسلام فنادى على لسان الرسول بتحرير المرأة من رقها

وانتشالها من عثرتها واحترام كلمتها فأوجب لها من الحقوق ما هو كفيل بسعادتها وهنائها ووبخ أولئك الذين ساموها سوء العذاب بقوله (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون)

ثم نادى الذين يقتلون بناتهم خوف الفقر والاملاق. ووعظهم بأسلوب بليغ قال عز من قائل (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيرا) ولقد حذرهم الله سبحانه وتعالى وأوعدهم بالعذاب الأليم والخسران المبين فى الدنيا والآخرة حيث يقول (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) وقال (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) جاء الاسلام فجعل لها حظاً موفورا فتمتعت بعيش رغيد وتبدلت حالتها من ذل الى عز ومن ضعة الى رفعة . ومن وأد وقتل الي أمن على الحياة . نظر الاسلام الى المرأة نظرة تقدير وتجلة فانتشلها من براث أعداء الانسانية وخصماء البشرية وقد كانت فريسة ناضجة يأكلون من لحمها ويشربون من دمها أبى الاسلام ذلك ونادي رسول السلام أن أطلقوا هذا الطائر الغرد من سجنه المظلم ودعوه يحلق فى سماء بيته ويغرد فوق أشجاره المورقة آمنا مطمئنا . ناداها الاسلام . وأجلسها فوق أريكة

الحرية وأعطاها من الحقوق مالا تتمتع به امرأة أوروبية فى عصورها المختلفة وأحاطها بسياج من العدالة لا تمزقه الحوادث ولا توهنه الخطوب فما زالت المرأة العربية اذ ذاك تردد أنشودة الصفاء وتلحنها على قيثارة السعادة خرجت المرأة فى أدب الى الحياة وضربت بسهم رائش فأصاب الكلى والمفاصل وأضحت للرجل قلبا نابضا . ولسانا ناطقا وساعدا قويا وعيناساهرة وزهرة شذية يتضوع عبيرها فيخلص إلى قلبه فيملؤه عطفا وحنانا وشفقة واحسانا وجرأة وإقداما أصبحت المرأة العربيه الاسلامية زينة الحياة وبهجتها والف الرجل وربة بيته المدبرة المقصدة . ورسول المحبة والوئام بينه وبين عشيرته فكم عقدت صلة بين قلوب متنافرة متشاكسة متباغضة وكم مدت بيدها الأسباب بين عشيرة زوجها وكم مدت يد العطف الى أمه وأبيه وصاحبته وبنيه اذ ذاك نظر الرجل فرأى بجانبه هذا الملك الطاهر فنزل الى ميدان الحياة بثغر بسام وقلب مطمئن ونفس تواقة الى المعالى . تتطلب الجوزاء . ولا ترضي مستقراً لها الغبراء . ينظر الرجل فيرى سعادته بعينى رأسه . فيبادر الى اسبابها فيصل اليها من غير كبير عناء اذ ذاك صيروا من الصحراء أرضا مورقة اشجارها . حلوة ثمارها . طيبا نبتها عظيما نتاجها

نظرت المرأة نظرة إنعام فيما اعطيت من حقوق وما فرض عليها من واجبات فلم تقصر فى شىء من ذلك مثلت . الحياة

الزوجية خير تمثيل . كانت ترى ما يسعد زوجها فتعمل على تحقيقه مهما وقف فى سبيلها من عقبات . تسربلت بسربال من الأخلاق الماضلة القويمة . فكانت للفضيلة مثلا عاليا . وللكمال والرقى النسوى انموذجا واضحا . رأت فى الحجاب سعادتها وهناءتها . فتحجبت وتقنعت وما سمعنا بامرأة سافرة فى عهد الرسول بعد أمرها بالحجاب الا وساموها سوء العذاب ولعمرى فهذه سنة حسنة وصفة محمودة . فحجاب المرأة أمر يقتضيه العقل السليم والفكر الناضج . وتستحسنه الانسانية . وتستعذبه المروءة . ولقد نادي محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه بحجاب المرأة منذ ثلاثة عشر قرنا تقريباً ولقد وافقه فى ذلك فلاسفه أوربة المنصفون . فلقد قال تولستوى (على الرجل ان يراقب سلوك المرأة ولا يطلق لها العنان بل يحجبها فى البيت حائزة حرية واسعة) وقال (على الرجل أن يكد ويشتغل وما على المرأة الا ان تقيم في البيت لأنها زوجة) وكثير من منصفى أوربة رأوا الحق فيما دعى به الاسلام فاتبعوه ونادوا به

كذلك رأت المرأة عفتها فى ابتعادها عن الرجال فعملت وسع طاقتها فى الابتعاد عن هذا الجنس فجنت من وراء ذلك سعادة أبدية وفخراً دائما سطره لها التاريخ على صفحات الخلود . ولا شك ان اختلاط الرجل بالمرأة يكون فيه بواعث عديدة لارتكاب

بمالا تحمد عقباه . اذا ما اختلط الرجل بالمرأة أضرمت بينهما نار الفتنة وأذكيت نار الشهوة . فحدث عن الفتن التى تنجم من جراء ذلك وحسبك أيها القارىء ماتراه الآن بين شبابنا وفتياتنا مما يستقبح ذكره

ظلت المرأة كذلك متجلببة بجلباب الفضيلة مرتدية ثوب العفاف متحلية بصفات الكمال حتى تعاقبت السنون وتتابعت الأيام وجاءت امرأة القرن العشرين . امرأة المدنية والحضارة والأبهة والعظمة كما يزعمون . فعملت على تحطيم هذا السياج المتين وعدم المبالاة بهذه القوانين لأن فيها كما تدعى تبرها وإهلاكها وتأخرها وانحطاطها الى الدرك الأسفل

على رسلك أيتها المرأة فلقد جنيت على نفسك جناية شنعاء لا يغتفرها لك شرع ولا عقل وهويت بنفسك الى الهوة العميقة وألقيت بكرامتك فى هذا الخضم الذي لا ساحل له فجرفها التيار وأصبحت ولا كرامة ولا عزة ولا سعادة . ظننت فى السفور سعادتك المنشودة فخرجت فى الطرقات سافرة الوجه عارية الذراعين مكشوفة الصدر . فرنت اليك الأنظار وحدقت اليك العيون . وصرت هدفاً لذؤبان الانسانية الكاسرة وطغام البشرية العاتية

خرجت فى الميدان هائسة متبخترة فنصبوا لك الشراك . وخدعتك كلمات الثناء . وغرتك مواعيد اللقاء . فهويت حيث هوى الأشقياء

خدعوها بقولهم حسناء والغوانى يغرهن الثنـاء

أي امرأة القرن العشرين لقد نبذت الأخلاق وراءك ظهريا وخلعت رداء الفضيلة فأصبح نسياً منسياً وخرجت، بزجة استلفت أنظار الرجال ألم تعلمي أنك قد هدمت صروحك العالية. وقوضت دعائم مجدك الثابت . واستلبت الصبابة الباقية من عزتك وكرامتك؟ خرجت الى الميدان سفورية الوجه باسم المدنية والحضارة وما الى ذلك من الألفاظ المعسولة الجوفاء . استهنت بالحياة الزوجية والخدمات المنزلية فتوترت العلاقة بين الزوج وزوجه . وأصبحت الحياة عبئاً ثقيلا ينوء كاهل الرجل عن القيام به . واستحكم النزاع والشقاق فنجم عن ذلك الطلاق . الذى كثر فى هذا العصر كثرة مروعة لا نظير لها فى العصر المخلفة ولقد قال الفيلسوف (تولستوى) « ان السبب فى فشو الطلاق هو هـذا التمدن الذى لم يقتبس الانسان منه سوى الحمق والخلاعة وهـذا هو السبب فى ازدياد الطلاق نمواً كل يوم فلا يمضي على زواج امرأة برجل ردح من الزمن حتى تقول له حاذر أن أتركك وأمضي الى سبيلى . سترى ذلك من الربوع العالية فى المدن الى أكواخ الفلاحين . فالفلاحة لأقل شيء تقول لزوجها أنا ذاهبة مع حبيبي يوسف الذى يفوقك حسناً وبهاء . كل هذا لأن المرأة خلعت ثياب الحشمة والوقار »

أيتها المرأة خرجت عن دائرة الخضوع للرجل واستهنت بكرامته فأصبح البيت بعد أن كان جنة نضرة وروضاً باسماً تنبت فيه الأزهار

الشذية و يتلمس فيه الزوج السعادة الأبدية ، أضحى وهو تنور مستعر . وماخورة من مواخير الفسق والضلال لا يمكن للزوج دخوله خوفا على نفسه من هذه النار المتأججة المضطرمة ففضل الجلوس على البارات والصالات على البيت الذى يرى فيه شقاءه الأبدى وذله السرمدى . فأضحى مقفرا موحشا . استوحشت منه أشجار الزوجية اليانعة ازهارها . المتضوع عبيرها . فنجم من جراء ذلك مايدمى العين . و يتصدع له الفؤاد . ترى المرأة فى الشوارع متسكعة أو فى بيت حبيبها و بين احضان صديقها راقدة يتناجيان ومن الصهباء يشربان فسدت أخلاق المرأة من جراء هذه الأفعال فتوضت دعائم صرحها المشيد و بنائها الشامخ وفسدت أخلاق الرجل كذلك بما صوبت اليه المرأة من سهام النقد والزراية به والتهاون فى حقوقه . سرى هذا المرض الفتاك وانتشرت جراثيمه المدمرة من الفرد الى الأسرة ومن الاسرة الى الأمة بأسرها حتى عمت المجتمع الانسانى فاهلكت حرثه ونسله وقضت على أخلاق ذويه ، شبابه وشيوخه ، فتياته ونسائه فتدهورت الامة وانحطت اخلاقها الى الدرك الاسفل وهذا نتيجة عدم احترام المراة للرجل وخروجها على الآداب والقوانين

وإذا أصيب القوم فى اخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

لقد نادى اعداء الانسانية بصوت جهورى مؤلم فى نغمة

مفزعة مخيفة بجهل المرأة المصرية ونادوا بوجوب تعليمها نعم نحن نعترف لكم بهذه النظرية الى حدما، ولكن فى أى الاجواء وفي أى صقع من الأصقاع تتعلم المرأة وأى العلوم تتلقى فالعلوم كثيرة أتتعلم الجبر والهندسة والطبيعة والكيمياء . وما إلى ذلك ،اللهم ان هذه العلوم لا تفيد المرأة أية فائدة ، اذن من البدهى ان تتعلم العلم الذى يريها الغث من الثمين والنافع من الضار والمزرى من المشرف نريد لها العلم الذى يسعدها فى حياتها الزوجية ويدعم بينها و بين بعلها صلات الحب والوئام والاتحاد والاعتصام بحبل الله . ثم على يد من تتعلم المرأة هذه العلوم . الحق والحق أقول أنى لا أرى لها معلما ناصحا شفيقا سوى والدها واخيها فهما اللذان يحافظان على كرامتها وشرفها وعفافها من ان تمتد اليها يد العبث فتمزقها فتهوى فى مكان سحيق

ايها الداعون لاصلاح المرأة هذا الاصلاح .لو علمتم ان ما تنادون به الآن وقبل الآن . ان هو الا اباطيل وترهات زينتها لكم نفوسكم المتبرمة من الحياة المتطلعة للشهوات . لو علمتم ذلك لأحجمتم عن هذه الدعوة العابثة خوفاً على كرامة المرأة وصيانة لعفافها وشرفها من يان بوطأ بالمناسم وخوفاً على صروحها العالية من ان تتهدم . فيجرفها تيار المدنية الجارف وتصبح المراة مضطربة مهانة : دعوا المراة فى مأمن من

نفثاتكم القتالة وتعاليمكم المزرية ولا تقدموا على هذا الاصلاح فهو افساد بين ومين صراح على المرأة، لا تموهوا لها الأباطيل وتلبسوها ثوباً مزخرفاً شفافاً وأنتم تعلمون جد العلم مكان هذه الدعوة من الرذيلة وبعدها عن الفضيلة ولكنها النفس الأمارة بالسوء

ايتها المرأة تصفحي تاريخ المرأة الاسلامية في عصرها الأول وانسجي على منوالها واستني بسننها وانهجي على نهجها القويم ودعك من هذه المدنية الكاذبة والحضارة المزيفة التي أنقصت من شرفك الرفيع وحطت من كرامتك السامية ارجعي الى دين الله واعملي بما جاء به رسول الله فهو نصير المرأة ورسول السلام اليها وحذار من اقوال المضللين الغربيين وأنصتي الى كلام المنصفين منهم . قال الكونت هنري دي كاستري في كتابه (الاسلام) قال ريفل (لو رجعنا الى زمن النبي ومكان ظهوره لما وجدنا عملا يفيد النساء أكثر مما أتاه عليه السلام فهن مديناتٌ لنبيهن بأمور كثيرة وفي القرآن آيات ساميات في حقوقهن وما يجب عليهن للرجال فمنها ما يختص بتحريم ما لا يجوز من اللذائذ معهن ومنها ما يوصي بالحشمة والوقار في استعمال ما اباحه الله) الى ان قال (ومن الجناح على المسلم أن يرفع نظره الى امرأة لا يريد أن يتزوجها) فهذه شهادة فيلسوف لا يدين بالاسلام ولا يعترف به ولكنه الحق والحق وحده هو الذي دفعه الى ذلك .

لقيط

هنا لك ، وتحت جدار متهدم ، حيث تتراكم الأقذار منتنة ، وتتصاعد الروائح كريهة : وقف الناس متجمهرين مشدوهين ، ينظرون إلى الأرض فلا تكاد أبصارهم تلتقي بها حتى ترجع منها سادرة كليلة ، وترتد عنها خاسئة حسيرة ، رأيت هذه الجموع تتوافد على غير عادتها ، وتتزاحم بشكل يستوقف المارة فهالني هذا المنظر ، ووقفت أتساءل ما هذا ؟ ما الخبر ؟ ، وكان هول الموقف قد عقد الألسنة ، وألجم الأفواه ، فلم أظفر من أحد بجواب . . أفسحت لنفسي بيدي ، وصرت أردد النظر يمنة ويسرة فاذا بطفل حدث يتوسد الأرض ، شاحب اللون ، مقطب الوجه مبيض العينين ، ناحل الجسم ، دفعني الفضول : ومددت يدي اليه فراعني أنه لم يتحرك . وأحزنني ان أرى هذا الحدث في ظلام الليل الحالك ، وفي سكونه الرهيب . يئن ولما يعرف الأنين ، ويشكو ولما يعبر الشكوى ، وليس عليه ما يقيه زمهرير القر ولفح الحر اللهم إلا بعض المزق والخرق لفته بها تلك الأم الجاحدة التي إخالها تعيش بدون قلب وتحيي بلا شعور

شعرت إذ ذاك برعدة في جسمي ، وحشرجة في صدري ، واعتراني خور في عزيمتي ، وفتور في قوتي زادهما تلك النظرات

الحائرة القلقة التى كان يصوبها الطفل وقد تلاقى عليها السخرية والألم ، وامتزجت فيها الحياة بالندم، فلم أتمالك أن صعدت الزفرات، ورقرقت العبرات مشاطراً هذا الطفل آلامه ، مشاركا همومه وأسقامه . . مسكين أيها الطفل: ماذا جنيت ؟ وماذا اقترفت ؟ حتى طالعتك الأيام بشقائها ، وصافحتك الحياة بسهامها ، واستقبلك الدهر بهذا الوجه الكاشر ، وذلك الجد العاثر . مسكين مسكين ؟؟؟ ضنت عليك الأيام بأم رؤوم تعلك فى صباك ، وتذرف عليك الدمع ساعة منعاك ، وبخل عليك الزمان القاسي بقطرات اللبن السائغة تبلل بها شفتيك، وتزيل بها غصتك . تركتك أمك الجائرة تحت هذا الجدار المتهدم ، وبين ذلك المكان المظلم ، وفى وسط هذه الأوساخ والأقذار حيث الحشرات تعشش عليك ، وهوام الأرض تأوى اليك ، هكذا تركتك ، وذهبت آمنة مطمئنة فرحة ، مرحة، وكأنما خيل اليها أنها قد دفنت عارها ، وأرضت ضميرها ، وما علمت أن للضمير ثورانا ، وللقلب غليانا ، وانه ان هدأ هذا فكا لهدوء يسبق العاصفة ، أو سكن ذاك فكا لسكون تتبعه القاصفة . . خيل اليها هذا : وما علمت أن عين الله ناظرة، ويده باطشة قاهرة، وان الله ان أمهل فلن يهمل ، وان أجل فلن يغفل ، مسكين أيها الطفل ! ! ! الجناية لم تكن جنايتك حتى تؤخذ بها ، والجرم ليس عليك وزره . ولكن النبعة على أمك حين نظرت

فابتسمت ، ووعدت فلقيت . . التبعة عليها حين غرتها كلمات الثناء وخدعتها مواعيد اللقاء ، وسحرها ببريقة الدرهم والدينار ، ورمتها الشهوة البهيمية الغشومة فنسيت الشرف والكرامة ، وباعت الطهر والعفاف ، وأسلمت نفسها وقلبها لأعداء الانسانية وذئاب البشرية فأورثوها نكالا وعذابا أليما .. ها أنت ذى أيتها الغاوية وصلت الى أبعد غور من ظلمات الفجور ، ورضيت لنفسك أن تكونى موسما تتجر بشرفها وعرضها فى سوق الغواية والغواه . تذكري يوم أن كنت طفلة بين أحضان بيتك المصون . تتمتعين بالسعادة فى ظل أبويك وعشيرتك فأبيت الا أن تطرحى بيدك هذه السعادة ، وتنبذى هذا النعيم . .

تذكري يوم أن كنت شابة يضمها بيتها كما يضم الخضم اللؤلؤة الفريدة والدرة اليتيمة ، لك مالك من احترام ونفوذ ، فرميت بنفسك بين أحضان الشباب العابث ، وأرقت دمك على مذبح الرذيلة ، وتركت عفافك نهب ابتسامة خادعة ، أو نظرة ضائعة وتناسيت أن العفاف هو أول ما تعتز به الفتاة ، وأثمن ما تفتخر به وتغضب له ، ولو نظرت في مرآة الضحايا الطاهرات ، لرأيت كيف أن كثيرا منهن أرقن أول نقطة من دمائهن ، قبل أن يرقن أول نقطة من أعراضهن ، ولكان لك فيهن الأسوة الحسنة والقدوة الجميلة ولكنك هكذا أضللك الهوى ، وأعماك الشيطان

ولقد صدق القائل

باعت براءتها ولم تتعفف عذراء ذات تجمل وتظرف.
وتنقلت حول الغواة تصيدهم كتنقل الافلاس حول المسرف.

وحيث يقول.

من باع فى هذى الحياة عفافه لم يلق عند الموت غير المشتفى

أيتها الفتاة ، خرجت من بيتك مائسة متبخترة تقنصين بلحاظك الفتان نزق الشباب وتتصيدين بشباكك مرضى العقول ، وضعاف النفوس .

تقضى النهار مع الغواة ضحوكة تختار منهم من تشاء وتصطفى.

اعتدى على شرفك الوغد الآثم ، وامتدت يده الى عفافك فمزقه بثمن بخس ودراهم معدودات ، ولو علم أنه يفتك بعرض أخته لو يدرى أنه يمزق شرف أسرة كاملة ، ومجتمع بأسره ، ما حدثته نفسه الشريرة ، بشيء من ذلك ، ولكن ماذا نقول وكيف نقول فيمن كرسوا حياتهم فى غمط الحقوق ، وظلم بنى الانسان فى ؟ ! قاتلهم الله أني يؤفكون .

أيتها الفتاة ، لقد صوبت الى كرامة أبيك سهما رائشا ، فأصاب منه مقتلا ، وكسوته عار الأبد ، وذل الدهر ، وأضعت بجريمتك صوابه ورشده ، فأصبح يرى النور فى وجهه ظلاما ، والسعة فى ناظريه ضيقا ، وود أن لو كان الموت عاجله قبل أن تعاجليه بفقد مجده ، وضياع كرامته ،

أيتها الفتاة ، إن جنايتك مضاعفة ، فهى جناية على نفسك ، وهى جناية على أسرتك وهى أخيراً جناية على ذلك الطفل المسكين ، الذى حرم من حنان الأم ، وعطف الوالد ، وذهب مع الحزن الى أبعد غور ، ونال منه نوال الذئب من الغنم القاصية ، يردد النظر فى الأفاق فلا يرى له أماً ، تكون سلوته فى أحزانه ، وقوته فى ضعفه ، وكوكبه المتألق إذا ما جنه الليل وخيم عليه الظلام .

وفى ذلك يقول الشاعر مناجياً هذا الطفل :

يا صغيراً شب فى هذى الحياة لم ير الأم ولم يعرف أباه
اطرح العار ، تجاهله فكم طرح العار صغير ونساه
وتناس المهد ، لا تحفل به لا يحط المهد أو يعلى فتاه

أيها اللقيط البائس ، والطفل المحزون ، خفف من لوعتك ، وكفكف من دمعتك ، وتنفس فى الحياة بملء رئتيك ؟ فما أتيت إثما ، ولا ارتكبت جرماً ، وإذا والداك قد أنكراك ، فان الله الرقيب لن ينساك . وإذا كنت خرجت الى الحياة بدون نسب ، فدونك وانتسب للعلم والأدب . فكم مثلك من أطفال تجاهلهم الآباء فعرفتهم العلياء ، وتناستهم رفعة الاحساب ، فذكرتهم عظمة الألقاب .

ياصغيراً تاه فى الدنيا احتمل إن تجد طفلا عليك الآن تاه (١)

---

(١) تاه الاولى : ضل والثانية : ازدهى وتباهى

قل له : ولى زمان كان فيـ ـه الفتى للأصل والبيت نماه
وفتى اليوم فتى أعمـاله فيها بزهو ويسمو فى الحياة

أيها الطفل ، كن هانىء الحال راضى البال ، واعمل فى الحياة حتى تكون نفسك بنفسك ، وتبلغ عظمتك بيدك ، وحاذر ان تلعب بك الأهواء ، وتتنازعك الشهوات ، وليكن لك فى حادثتك أجمل عظة ، وأبلغ عبرة ، إنما يتذكر أولوا الألباب

أما أنتم يا بنى وطنى ، فماذا أعددتم لهذا الطفل ، وأمثاله البائسين إن الواجب الانساني يناديـكم أن أنقذوهم من بؤوسهم وعارهم لا تدعوهم تفتك بهم يد الدهر فالجناية لم تـكن جنايتهم حتى يؤخذوا بها ، لاتدعوهم يتضورون جوعا وعطشا وأنتم فى نعيم الحياة تسرحون ، وفى صـفاء العيش تنعمون ، لا تـكلوهم الى أنفسهم ، فيقفوا فى سبيل تقدمـكم ، أقيلوهم من عثارهم وضمدوا جروحهم ، وخففوا آلامهم وتعهدوهم بالتربية والتهذيب ، حتى يشبوا رجالا عاملين على رفعـة وطنهم ، وإعلاء صروح بلادهم لا تدعوهم يسولون فى الطرقات ، ويفتشون عن الـكسر فى القمامات بل اطعموهم وهذبوهم ، فانكم إن فعلتم وجدتم منهم كفايات نادرة ، وعبقريات موهوبة ، تستطيع إسعاد أنفسها وأمتها وأوطانها « إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا »

صرح يتهدم

هو فتى في مقتبل العمر و ريعان الشباب بسام المحيا حلو الحديث طيب القلب غض الأهاب ريفى الطباع عن لى من حديثه أنه نزح إلى مصر حديثاً تمكنت بين قلبينا الصداقة وعقد الحب بيننا معاهدة كنت أعتقد أنها لا تنفصم عراها حيث كان لا يأنس إلا بي ولا يتحدث إلا لى ولا يأكل إلا معى أدخله والده (الذى لم يرزق سواه) المدرسة فصار يتردد عليها فى البكرة و يعود إلى بيته ساعة الأصيل وهو مستظهر لدروسه قد أدى واجبه المدرسى فقرت به عين والده وسعدت به أمه حقبة من الزمن

أضحى الفتى فى المدرسة مثال العمل والنشاط يشار اليه بالبنان من مدرسيه و رفاقه ظل كذلك طيلة العام حتى أذن مؤذن الامتحان فغامر بنفسه في الميدان وألقى دلوه في الدلاء وأسفرت النتيجة عن نجاح باهر وفوز عظيم وكان الفتى أول فرقته فزاد والده به سروراً وترنح طربا وغبطة وأغدق عليه النقود الكثيرة وألبسه من الثياب أفخرها وظل في حياة رغدة وعيشة سعيدة ناعم البال مطمئن النفس مثلوج الصدر قرير العين

ابتسمت له الدنيا ابتسامة الخداع وضحكت فى وجهه ضحكة الغرور وتزينت له بحالها الساحر و بريقها الكاذب و وميضها البراق

اتصل الفتى برفاق السوء والتف حوله رواد الرزائل وخدعوه بمسول كلامهم ومدهون حديثهم وألبسوا له الترهات ثوبا من الحقيقة فتأثر بمفترياتهم فجنح عن الجادة واتخذ الهه هواه ونزل معهم فى الميدان يغازل ويسامر ويسهر على البارات والصالات وكثير ما كان يغشى أماكن الرزيلة حتى قضت على أخلاقه القويمة

تغيرت حالته تغيرا فجائيا مدهشا فأضحى يحمل بين جنبيه نفسا ناقمة على الحياة وما فيها ومن فيها صاخبة ساخرة مستهزئة وظل حاملا علم الشهوات دنسا فوق عاتقه يغازل الحسان ويناجى الغانيات حتى انشغل قلبه وتاه لبه وصور له الوهم أن الحياة المدرسية لا أثر لها فعمل على الخلاص منها ولكن في خفاء وتكتم حتى لا يعرف والده

انقطع الفتى عن المدرسة بسبب إخفاقه فلم يأبه بذلك ولم يحفل به وظل يجوس خلال الديار ويعبث فى الارض الفساد ويهتك ستار العفاف ويذبح الفضيلة وأصبح لا يعود الى البيت إلا فى الهزيع الأخير من الليل بالاتفاق مع الخادمة التى كانت طوع اشارته ورهن ارادته

قيض الله لهذا الفتى صديقا من أصدقاء والده الذين يهمهم أمره رثى لحاله وعطف على مستقبله الضائع بين يدى معشوقاته ومحبوباته حنا عليه حنو الأم على وحيدها وعاهد نفسه الشاعرة وضميره

الحى أن يراقب هذا الشاب الزق الذى تتلاعب به يد الأهواء فى ميدان الموبقات فعمل على ابلاغ والده حتى يرتدع هذا المسكين عن غيه ويثوب الى رشده ويهتدى الى الطريق القويم

جلس الفتى كعادته على بار من البارات واحتسى من كؤوس الخمر ما ارتوت به نفسه الآثمة حتى فقد رشده وأخذ يهرف بما لا يعرف ويسير فى الطرقات معربدا لا يعرف مايفعله ولا يعى ما يقوله هنا صادفه صديق والده فأخذه فى بيته حتى استفاق فلم يكد يرى نفسه مع هذا الرجل حتى اغرورقت عيناه بالدمع وتندى جبينه عرقا واحمر وجهه خجلا وقام يستغيث به ويستحلفه الا يبلغ والده فأسرها الصديق فى نفسه ولم يبدها حتى ينظر ماذا يفعل فلم تمض غير ليلة حتى رآه على الحال الأولى فلم يسعه إلا اخبار والده

علم الوالد بذلك فزفر زفرة أعقبتها حسرة وزرف دمعة تقطعت لها نياط قلبه وأن أنة المحزون وبكى بكاء الثكلى وأخذ يضيق الخناق على ولده ويعامله فى شيء من القسوة والشدة رجاء أن يفيق من غفلته

شعر الفتى بذلك منذ الساعة الأولى وعلم لأول وهلة أن ذلك الصديق هو الذى أبلغ والده فغضب غضبا شديداً وثارت نفسه ثوران البركان الهائج وعمل هو ورفاق السوء على قتل هذا المسكين وامضاء لمشروعهم هذا لم يجدوا بدا من مصادقته فما زال الفتى يظهر

له الولاء والعطف والأطمئنان حتى جاءت الليلة المعهودة لقتل هذا المسكين دعاه الفتى للرياضة فى الصحراء الغربية فلبي الدعوة وهو فى مأمن منه سارا فى طريقهما فى ليلة قمراء ينظران في السماء وكواكبها نظرة الأعجاب والتقدير

وبينما هما سائران انقض وحشان من بنى الانسان وداهما الرجل وأعملا فيه المدى حتى مزقاه إربا إربا وتركاه قطعا وانصرفا مع صاحبهما يذكرون عملهما الوحشي فى شيء من السرور والابتهاج والراحة والاطمئنان

شاء الله ألا يمتع الفتى بعد هذه الليلة بعيش سعيد ففى الليلة التالية وفى هـذا المـكان الذى قتل فيه هـذا المسكين إنقضت عليه حية رقطاء فلذعته لذعة فارق على أثرها الحياة وخر صريعا فى هذه الفقار وبين هاتيك الصخور وحيدا فريدا طريدا شريدا

مات وخلف الشقاء لوالديه وأخته سعاد وجر عليهم الويلات والنكبات مات بين أحضان الطبيعة لا يجد من يذرف عليه الدمع فى ساعته الأخيرة ولا يجد من يعطيه كأسا من الماء يبلل به شفتيه ويزيل به غصته ويلطف به حرارته

أتدرى ما اسم هذا الفتى ؟ اسمه محمود وقد ولد فى قرية من أعمال قليوب مات محمود فماذا بعد محمود ؟ أم باكية حزينة حائرة

ملتاعة تتلمس الراحة فلا تجدها ولا تتذوق للحياة طعما بعد فلذة كبدها وثمرة فؤادها

وأب أصابته الأمراض وتناوشته الخطوب وكشر في وجهه الدهر وكف بصره فلزم البيت حتى ألحت عليه الحاجة وداهمه الفقر وتسورته الهموم وضاقت عليه الارض بما رحبت بينما هو مع زوجه وابنته يبكي حظه العاثر وأمله الخائب وجهوده الضائعة أرسلت المحكمة بمن ينتزع ملكية البيت من جراء ما كان يستدينه محمود فما إن طير اليه الخبر حتى خر مغشيا عليه وظل يرتعد رعدة المحموم ويصفر اصفرار المحتضر وما هي إلا سويعات حتى حلق طائر الحمام في سماء حجرته فزفر زفرة كانت فيها نفسه صرخت الزوجة صرخة مؤلمة وجاوبتها سعاد بمثلها اهتزت لها حوائط البيت لمن تركتنا ياأبتاه ؟ أتركتنا للدهر الخؤون أم لحوادثه المؤلمة أم لذئاب الأنسانية وطغام البشرية فرحماك ربي رحماك حكمت على بفقد أعز شخص كان يساعدنا على اختراق سبل الحياة المقفرة الموحشه

ظلا ينتحبان ويبكيان حظهما العاثر وأملهما الضائع ويفكران في مصيرهما البائس . ظلت سعاد تزرف الدمع السخين بجانب والدها حتى بللت الفراش ، أما أمها فقد استلقت جثة هامدة بجانب زوجها وكأن القدر قد أشفق عليها من براثن الفقر المدقع فاستل روحها فصدت وهي باكية على فلذة كبدها فما إن شعرت سعاد

بذلك إذ صرخت صرخة عميقة وخرت مغشيا عليها فى حجرتها ساعة من الزمن حتى أفاقت من غشيتها وتيقظت من رقدتها رفعت يدها إلى اله . السماء ربي حاقت بى المصائب من كل صوب وأنا مازلت الفتاة التى لم تزق للحياة طعما منذ الساعة فماذا جنيت وليس على الأرض من يمد يده بكسرة من خبز إلى بائسة مثلى

لي لله من بائـة مسكينة أناخت عليها الخطوب والحوادث فقطعت نياط قلبها فأصبحت لا تؤمل فى الحيـاة إلا كما يؤمل المجرم عرف مصيره بالقضاء عليه

ما لبثت سعاد بعد ذلك بضعة أيام حتى خرجت فى الميدان تستجدي الناس فضلاتهم فلا تجد فيهم من يحسن اليها أو يعطف على شبابها الضائع و يرثى لحالتها المؤلمه

نشأت سعاد فى بيت عز ومجد نضرة الوجه ممشوقة القد مليئة الجسم حلوة الحديث يجرى فى عروقها دم الشـباب و ينجلى فى وجهها الجمال الرائع صوبت اليها سهام العيون وتسورتها ذؤبان الأنسانية فلم تجد بداً من الفرار إلى باب آخر خوفا على شرفها من أن تلوثه يد الدهر وعفافها من أن يمزقه الأنسان الظالم

فكرت سعاد فى أمرها فلاح لها أن تندرج فى سلك خادمات البيوت عند ثرى من أثرياء القاهرة ولم يمض أسبوع حتى تم لها

ما أرادت ودخلت فى بيت كبير فى مصر وعملت على الخدمة فيه ونفسها راضية بما قدر لها من السعادة والشقاء.

لم تكد تطمئن نفسها ويهدأ ضميرها من الصدمات السابقة حتى تعلق بها شاب فى هذا القصر وافتتن بها وأصبح لا يرى سعادته إلا بين يديها فماذا يصنع لا يمكنه أن يتزوجها لأنه سرى وهى فقيرة فما الحيلة ؟

لجأ الوغد الى حيلة شيطانية أمرها بأن تختص بتنظيف حجرته فلبت دعوته وهى لو تعلم ما كتب لها على صحائف المقادير ما لبت هذه الدعوة خوفا على شرفها من أن تمتد اليه يد العبث

أواه أواه من بنى الانسان الظالمة وذئابه الكاسرة الذين عاهدوا أنفسهم الشريرة وضمائرهم الميتة ألا يدعو الأنسانية فى هناءة وسعادة عاهدا أنفسهم ألا يتركوها تتمتع بالحياة وما فيها من لذة ونعيم

طلبها الوغد فى ساعة متأخرة من الليل بعد أن نام جميع من فى القصر من أسياد وخادمات فلم تجد بداً من إجابة مطلبه ومثلت بين يديه فأجلسها بجانبه فاندهشت لهذا الأمر الذى لم تره منذ خدمتها وتبادلها الغمزات واللمزات فخفق قلبها خفقانا شديداً ولم تعلم أين مصيرها وماذا يريد الآثم منها قدم لها الفتى كأساً لا تعلم من أمره شيئا وألح عليها بشربه فشربته تحت تأثير القوة والعنف مرة والمزاح

واللين تارة ثم أعقبه بثان وثالث حتى ثملت ووقعت على سريره لا حراك بها قام هذا الأثم ومد يده إلى عفافها فلوثه واغتصب منها شرفها فمزقه ثم قام وتركها بالحجرة حتى الصباح

علم من فى البيت بأمرها من تغير حالها فشكوا أمرها إلى رب القصر فعنفها وطردها خوفا من فساد أخلاق (فتاه) و من فى قصره

خرجت الفتاة من القصر تنعى شرفها وتبكى حظها العاثر الذى رماها بين أحضان أولئك القساه الذين لا يعرفون للعفة معنى خرجت زهرة زابلة وغصنا يابسا وقد كانت بالأمس القريب زهرة شزبة ينضوع عبيرها على العالم فيمتلىء فرحا وسروراً

خرجت الفتاة تنعى شرفها وتردد هذه الكلمات : كنت الرشيقة الطاهرة التى لم يكد ينشر شذاها الذكي مع نسمات الصباح حتى امتدت اليها يد أثمة فأزبلت نضارتها

أواه ما أقسى الأنسان وما أظلمه . وما أكفره كنت آمل أن أعيش فى الحياة عيشة السعداء الآمنين أتمتع بجمال الطبيعة كنت بالامس القريب في أحضان الحياة أتمتع بالوجود فأصبحت اليوم فى كفة الموت فرحماك ربى رحماك ! !

أية شرعة جائرة تحل سفك الدماء وسلب الأعراض وهتك الحرمات ؟

أواه أراه ليست في أية شرعة ولكنها فى شرعة الأنسان الظالم

خرجت الفتاة الى الحياة بجرح متسع لا التئام له مهما عالجته بشتى العقاقير والأدوية لأن الفتاة إذا ما خدش عرضها فمثلها كمثل لوح من الزجاج إذا اخدش مرة أضحى من العبث أن يفكر الأنسان فى علاجه لارجاعه إلى حالته الأولى

مسكينة سعاد فقد أصبحت الحياة امامها كسم الخياط بينما هى أمام قرنائها ميدان فسيح متسع الأرجاء مترامى الأطراف ولكنه القدر يسعد من شاء و يشقى من شاء فليت شعرى ماجناية هذه الفتاة وما جرمها الذى اقترفته حتى تناوشها الخطوب المؤلمة والحوادث المدلهمة

الجناية جناية محمود والجرم جرمه فهو الذى جر على والديه واخته هذا الشقاء والذل والتعاسة وأضحت سعاد فى ديوان الموسمات موسما تتجر بعرضها وشرفها فى سوق بيع الأعراض وهى البريئة الطاهرة . لم تجد سعاد بعد هذه الفاجعة للحياة لذة وعرفت أنها أصبحت مضغة فى فم كل فرد يتغنون بجمالها وسواد عيونها

فكرت وفكرت طويلا فعرفت أنها صارت موسما وغداً أو بعد غد ستعلن عن نفسها بهذا الاسم فالى أين السبيل الى أين يارب ولا مال ولا أهل ولا نصير ولا معين وأنا أخفى حزنا فى قلبي ووصمة عار فوق جبينى أطلب العيش من ناحية الزواج فلا أجد من يتزوجنى لأنى صرت موسما واطلبه من جهة المسألة فلا أجد فلا

طريق اذا إلا طريق البغاء أكون مومساً أتجر بعرضى وشرفى
أتناسي الشرف وما يقال عنه من كلمات وأتناسى قول القائل

ثوب الفضيلة للفتاة يزينها ولو انها لبست حقير رداء
ما الثوب للعذراء يرفع قدرها إن لم تستتر فى حشمة وحياء
ما أحسن الثوب الجميل بزينه الخلق الجميل وعفة الحسناء

ذهبت فى هذه الحياة الجديدة تخوض غمارها وتسبح في أحشائها وتسير فى صميمها تصبح وتمسي يتلقفها ذئب من ذئاب الأعراض و يلفظها آخر كما تلفظ الشفة القشرة اليابسة و هى بين كل أولئك تزفر زفرات قاتلة وترسل الفكر إلى الماضي الرهيم فيرتد حسيرا و هو كسير وتتأوه تأوها أليما على هذا الذى كانت تمرح فيه وترسل العبرات فى صمت أليم وتقضى يومها مروعة الخاطر كئيبة حزينة متبرمة ساخرة من هؤلاء الرجال الذين هووا بها على مدرجة الشقاء واسقطوها وترفعوا عنها ولم يشاركوها الجرم يتناوبها الرجال و يصارعها وخز الضمير و تفتك بها نظرات الناس اليها ولكن الفاقة والعوز تبعث فى خاطرها شيئا كالرضى والاطمئنان إلى هذا العمل بقيت هكذا أياما حتى أصابها مرض فتاك تمكن منها واستشرى فى سائر جسمها فهد منها القوى وضعضع كيانها وتركها شبحا هزيلا وخيالا يدنو من العدم ظل بها حتى ذهبت إلى الفناء ضحية تزق محموم كما أذهب ضوء هذا البيت وأفنى مجد هذه الاسرة

الزار

خطب جسيم ومصيبة جلى ورزء أصاب المسلمين وفرية افتراها عليهم زعماء الغواية وقادة الهوى ونصراء الرزيلة وجراثيم الفتنة وعشاق الكذب ومغتصبوا الحقوق وسالبوا الأموال من غير ما خوف ولا وجل ولا خزى ولا خجل بدعوى خدمة الانسانية المعذبة وانتشالها من براثن المرض الذى خفيت معالمه عن نطس الأطباء وحاذق الحكماء وعجز العلم بجلاله وسمر قدره عن أن يوجد له دواء نافعاً وتشخيصا ناجعا يقف فى سبيل جراثيمه المدمرة و يوقف نموه المطرد كما يزعمون وكما تسول لهم شياطينهم المتمردة ونفوسهم الأمارة بالسوء فأتوا هؤلاء الذئاب ونادوا بملء أفواههم نادوا فى كبرياء وعظمة وزهو واختيال أيتها النساء اللاتي عضهن الدهر بنابه وأناخ عليهن بكلكله ورماهن القضاء بسهامه فأصابت منهن جرحا واسعا تعالين للطب والمداواة فى ساحتنا توجد العقاقير النفسية المفرحة أيتها الفتيات التى اجتاحهن هذا المرمى وأصابهن من مس من الشيطان تعالين نذهب أمراضكن التى انهزمت أمام الحكمة الصحيحة وخففت أشعة (رانجتن) عن تشخيص أعراضهم كما يزعمون

تعالين قبل أن يستفحل الداء و يتمكن المرض و ينفجر بركانه المضطرب و يتسع الخرق على الراقع فيصعب عليكن دواوء يتعذر شفاؤه . هذا بعض من ترهاتهم وأباطيلهم ومخازيهم المسترة المؤلمة المبكية ولو شئت أيها القارىء أن تتفضل على بشيء من زمنك (الذى لا أحب أن تصرفه فى غير جدوى) لأطلت عليك مما يتفوهون به ولقصصت على سمعك صوراً من صورهم التي طالما تغنوا بها والتى يتردد صداها بين فينه وفينة

وهأنذا سأضحى بوقت لأنشد الحقيقة

على رسلكم أيها الجناة لا ترفعوا أصواتكم عالية ولا تهزوا أعطافكم وتثنوا أعناقكم طربا وغبطة وزهواً واعجابا فأفعالكم يأباها العقل وتنكرها المروءة وتتبرأ منها الانسانية ويمقتها الأباء والشمم ويتنصل منها الدين وتفندها تعاليمه الرشيدة وتستقبحها أدابه السامية وحكمه الغالية وعظاته البالغة لقد افتريتم على الحق وكذبتم على الله فيما تدعون وصوبتم الى الدين سهما رائشا فأصاب منه مقتلا وجنيتم عليه جناية عظمى لا تغتفرها لكم الانسانية ولا يسايركم فيها عقل ولا شرع فأنتم للدين معول هدام وللاخلاق الفاضلة أعداء ألداء وخصماء جهلاء

هذه جناياتكم الشنعاء تصطلى نارها وتنقلب على جمرها وتفتك بنا جراثيمها وتنخر فى عظام الأمة فصيرتها هشيما تزروها الرياح

كم كنتم سببا فى اضطراب الأمن فى البلاد و إضرام نار الفتنة بين الاسرات و إذكاء نار التباغض والتشاحن والتشاكس والتناحر كم مددتم يد التفريق بين الزوج وزوجته بما توعزون اليها من وساوس شيطانية وهواجس سولتها لكم نفوسكم الشريرة

ولو بحثنا عن سبب إرهاق الزوج بما ينوء كاهله عن القيام به من الأموال التى تتطلبها الزوجة من زوجها لوجدنا جلها يطلب للقيام بعملية الزار

وإنى لأعجب لهؤلاء جد العجب وأدهش لما يبذلونه فى جلب النساء والتغرير بهن من الحيل الجذابة الغريبة التى يعجز عن تدبيرها أبليس وأعوانه ومن النفثات التى ينفثونها فى عقول النساء فتصادف منهن رضاء عاما وقبولا تاما لا سيما الجهلة منهن وان تعجب أيها القارىء فاعجب مما يوحيه هؤلاء الذئاب الى الممسوسات والممسوسين من أن (العفريت) يطلب من الملابس الأحمر القانى والأبيض الناصع ومن الذهب كذا .. ومن الفضة كذا .. وما إلى ذلك مما يجر على الزوج الفقر والدمار والذل والهوان

فيوما ترى المرأة خارجة من بيتها لتحضر الشموع لتوقدها فى حفلة الزار التى ستقيمها ، ويوما تراها تستدين النقود بأفحش الربا لتحضر الملابس الفاخرة لترضي عفريتها وتارة تراها تأمر الزوج

بشراء نخراف (والدجاج والرومى) لترضي القائم بعملية الزار

فحدثنى بربك أيها القارىء ماذا جنى الزوج وماذا اقترف حتى توجه المرأة اليه هذه المطالب التى أثقلت كاهله وناء عن القيام بها ووقف واجما صامتا ينعى حظه الذى رماه بين براثن هذه التى حملته مالا يطيق (ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها) إلا أنها شرعة الزار وشهوات القائمين بأعمال الزار وارضاء لأسيادنا (العفاريت) ماذا يكون موقف الرجل إذن ؟

لا شك أنه سيقع بين عاملين اثنين إما أن ينقاد لأهواء زوجه فيكيل لها من خزائنه ماشاءت نفسها الأمارة وماشاء عفريتها المتمرد واما أن يقف في سبيل شهواتها الابليسية ونزغاتها الشيطانية هنا حدث عن شعب الخلاف التى تنجم من جراء ذلك والتى ترى صداها يقلق السامعين ويدهش القراء فى كل يوم والتى نرى نيرانها مضطرمة بين جدران المحاكم الشرعية وأمام القضاء

قاتلكم الله ياشياطين الأنسانيه أبت نفوسكم تركها فى مأمن من لذعاتكم وفى هدوء من خرافاتكم (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) بئس ماصنعوا لو كانوا يعلمون

والأقص عليك أيها القارىء قصصاً مؤلماً تخجل منه المروءة ويأباه الدين ساقتنى الاقدار ورماني القضاء الى حى بولاق فما إن وصلت اليه الا رأيت النساء يأتين أفراداً وجماعات من هنا وهناك

راعنى هذا المنظر واستوقفنى هذ المشهد إلى أين إلى أين ؟،

علمت من رجل تعرف إلى أن هنالك شيخا يدعى الشيخ على المغربي) تقام فيه حفلة للزار يحضرها النساء من كل فج ويؤمها الرجال من كل صوب دفعنى حب الاستطلاع لزيارة هذا الشيخ العظيم على أقف على بعض ما يفعل هناك

طويت الطريق طيا والتهمته التهاما حتى وصلت الى الشيخ (على المغربى) فلم يقع نظرى الا على آلاف مؤلفة من النساء والرجال تجتمعون فى صعيد واحد ويظلهما سقف واحد وهنالك فئته من الذئاب تضرب على لدفوف وترى النساء يزغردن ويرقصن ويضطربن هنالك ترى النساء قد اختلطت بالرجال وقد انكشفت رؤسهن وتعرت صدورهن وسفرت وجوههن فياضيعة الأخلاق ويابؤس الفضيلة ! !

هنالك ترى النساء ويتفوهن بألفاظ مستهجنة قبيحة بأباها الشرع ويندى لهاجبين الفضيلة وتثير لواعج الحزن فى الصدور

هنالك يضرب الدين فى صميمه ويطعن طعنات مؤلمة ويوصم بوصمات لا تنفق ومالله من كرامة سامية وعظمة ومجد هنالك بتزلزل عرش المروؤة وتهوى صروح الأخلاق الفاضلة القويمة

فياعار مصر الذى تتحمله من جراء ذلك . يرى الأجانب هذه المظاهرات النسائية المبكية المحزنة وهذه الاشكال البشعة

المقبئة فيضحكون ملء افواههم ويعيبون علينا هذه النزهات ونحن منها برآء

يأخذون هذه الصوره مسرعين بها الى الغرب ثم يوجهون الضربات والطعنات إلى الاسلام وذويه ويرمونه بالفوضى والجمود والقصور عن سعادة معتنقيه وهو الدعى الى التطور والتجديد هو الذى فك العقول من رقها وحررها من استعبادها يوم ان كان الغرب الثائر ينادى على لسان قساوسته واباطرته ان قيدوا العقول ولا تطلقوا لها العنان فالدين عدو العقل والعقل عدو الدين

وهنا أقف مطرق الرأس سائر النفس مكلوم الفؤاد أهمهم بكلمات تتردد فى صدرى فلا تكاد تبرز الى حيز الظهور حتى تعود ولكن هأنذا سأخرجها فى جرأة و إقدام وشجاعة وثبات .

ما دواء هذا المرض قبل ظهور الزار وما السر الذى حدى بالشياطين أن لا تمس إلا نساء مصر دون نساء الغرب بأجمعه والشرق عدى مصر فهاهن الغربيات لا يعرفن الزار ولا شيئا من هذه العادات القبيحة والصفات الذميمة التى ابتكرتها نساء مصر فى قرنها العشرين

أظن بل أعتقد أنه لا جواب على ذلك إلا أنه القدر يسعد من شاء ويشقى من شاء (من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا)

يارجالات مصر لا تسمحوا لنسائكم بالنزول فى هذا الميدان والمغامرة فيه وغشيان هذه الاماكن ففيها من الفضائح والمخازى مايندى له جبين الفضيلة ويندك له صرح الاخلاق و ينصدع له الصدر وتضيق به الارض بما رحبت فيه من الفضائح مايذيب القلب و يدمى العين و يفقد الرشد فيه جناية على الامة ودينها . وثروتها وشرف أبنائها

يا بسطاء العقول تمعنوا قبل أن تقدموا وتأملوا قبل أن تهوا ولا تمكنوا أبنائكم من هذه الاعمال القبيحة فتفسد اخلاقهن و يعتدى على شرفهن واعراضهن واماكم الاطباء فقد جعل الله لكل داء دواء ولكل مرض طبيبا يمكنه التغلب على هذه الامراض أو تخفيف آلامها بما أوتى من علم وحكمة

ولا يسعنى الآن إلا أن أصرح فى جرأة أن هذه الامراض الفتاكة وهذه العادات القبيحة اذا لم نسعف بالعلاج السريع الفعال فقد لا تبقى ولا تذر من اخلاق الامة ولا من ثروتها ولا أدرى له علاجا معقولا ودواء شافياً الا الضرب على يد هؤلاء وأخذهن بالشدة حتى يقلعوا عن هذه المخازى والمعايب التى انتقصت من شرفنا وحطت من كرامة ديننا وهى أخيراً جناية كبرى على المرأة وخطر مستطير الشرر عليها وأقل مافيها من خطورة انها تعرض المرأة للاختلاط المزرى بشرفها وكرامتها تعرضها لسهام العيون

تعرضها لاولئك الذين استعذبوا الرزائل واستباحوا الحرمات

والآن لا يسعنى الا ان ابدى سخطى على هذه الافعال القبيحة والعادات الزميمة التي اودت بالكرامة واضاعت الشهامة وتجرعنا من جرائها كؤس المرواورثتنا نكالا وعذابا اليما

وهنا ارفع يراعتى عن ان اخط كلمة تاركا الميدان لزميلى

والله اسأل ان يوفقنا جميعاً لخدمة دينه القويم والذب عن حياضه واحقاق الحق وابطال الباطل وهو ولى فنعم المولى ونعم النصير

محمد عبد المجيد مطر

بالمعهد الازهر

obeikandl.com

(١)

ضحية الواجب

... فتى فى ريعان شبابه وكمال فتوته . مفتول الساعدين قوى البنية وديع النفس طيب القلب . قضى الباقة الأولى من حياته في قرية من أعمال الصعيد . و بعد ان تزوج منها غادرها الى القاهرة شأن الكثيرين من بنى الريف الذين اذا ضاقت بهم سبل العيش بين أحضان القرى هرعوا الى المدن يلتمسون فيها الرزق و يطرقون موارده

بعد بضعة اسابيع عين (حسين) خفيرا (لمزلقان) فى نهاية جسر مقام على النيل . توالت الأيام والشهور وحسين فى اطيب عيش مع زوجه آمن مطمئن إلى الحياة العذبة الهنيئة وفى نهاية العام رزقا ولدا كان سلوة الأم فى غياب زوجها وريحانة الأب ذا آب من عمله . وطد الولد علاقة الحب بين الزوجين فكانا في سعادة تامة و هناءة مستفيضة واستحكمت أواصر المحبة وترعرعت مع الطفل عهود الاخلاص الوثيقه والحنان المتبادل بين الطرفين فأصبحوا يتقلبون على بساط النعيم و ينتقلون فى رياض السعادة

و ينهلون من أفاويق السرور . مرت الأيام سراعا والسعادة مخيمة على هـذه الأسرة وأعلام الوئام ترفرف فوق هامتها . والوالدان لا يزدادان إلا تعلقا بهذه الثمرة الطيبة

كان الوالد يتمطع ساعات العمل فى ألم ممض لشدة تعلقه بفلذة كبده و يرى أنه غمط ابنه حقه من الحنان الأبوى لقضائه سحابة اليوم خارج الدار . على أن الولد كان لا يقل عن والده محبة وميلا فقد تغلغل حب أبيه فى فؤاده وجثم تمثاله على عرش قلبه وكثيراً ما كان يوجه إلى أمه تلك الكلمات بين آن وآخر (فين بابا أروح لبابا) ولما ناهز الطفل السادسة من عمره رأى والده أن يصحبه معه إلى محل عمله و هو لا يبعد عن الدار إلا قليلا . وفى صبيحة أحد الأيام خرج الرجل مبكراً كعادته يصطحب فتاه الأوحد فقضيا اليوم فى صفاء وسرور وعادا فى العشية مثلوجى الصدر قريرى العين

توالت الأيام على هذا النمط إلى أن أمن الولد من نفسه وأمن والداه عليه مخاوف الطريق جعل الرجل يذهب بعد ذلك منفرداً وعند ما تتربع شمس الضحى فى سمائها يفد اليه شبله فيقضى الوقت فى حمى أبيه يرتع و يلعب و يعود الى الدار إذا عنت له حاجة اليها

بسط البشر أعلامه على هذه الأسرة مرة ثانية وظلت على هذا المنوال عامين غير أن الدهر الذي أرخى لها العنان هذه المدة والذي

آلى على نفسه أن لا يستقر على حال أراد أن يقلب لها ظهر المجن ويريها أن هناءتها السالفة ماهى إلا أماني كذاب

وفي ذات يوم ذهب الرجل حسب عادته فوجد بالجسر خللا لا تستطيع معه القاطرات السير عليه ولم يكن لسائقيها وعمالها علم بذلك وليس فى استطاعته أن يذهب إلى (المصلحة) التى يعمل تبعاً لها ويخابرها بما حدث مخافة أن يقع فى غيابه مالا تحمد عقباه

وقف متحيراً مذعوراً متجهم الوجه تعلو محياه كآبة تنبيء عن مقدار ما يتكبده المسكين من العناء

وبينما هو على هذه الحالة كأنما سمع هاتفاً يسر اليه فى خفوت (أن ستقع اليوم كارثة تتصدع من هولها الأفئدة) فاستسلم للقضاء ووقف حسير القلب كسير النفس

مرت على الرجل ساعة من أسوأ الساعات وأطولها بل من أشدها وقعاً على نفسه وما لبث أن رأى ابنه قادما يتبختر بين دفتى الخط الحديدى . ثم لاحت له قاطرة عن بعد تسير فوق الخط الذى يسير وحيده بين جانبيه

فجحظت عينا الرجل وغلا الدم فى رأسه وطار لبه ورشده وثارت ثورته وجعل يقفز على غير هدي ويذهب ويجيء لا يلوى على شيء ولا يدرى ما يفعل كالذى يتخبطه الشيطان من المس

احترق عقل الرجل من كثرة التفكير ووقع فى حيرة عظيمة

وتناولت فكرة معضلات شتى اينجى وحيده و يترك القطار يغوص بمن فيه فى لجة اليم ؟ ام ينقذ القطار و يفديه بأعز شيء لديه فى الحياة ؟

وإن السبب الوحيد الذي الفى بالرجل فى هذه الملمة هو أن اشارة الخطر كانت منصوبة بجوار الجسر وليس فى الامكان اخطار القطار بسواها

غير أن الرجل نبيل النفس شريف المنبت . أبت عليه رجاحة عقله وعزة نفسه وكرم أخلاقه أن يكون من الأنانية بحيث يفادى ولده و يترك القطار المنكود يسير بركابه إلى الهلاك وتلتهم أرواح راكبيه الأبرياء نيران المنية . فيكون سببا فى فناء المئات و يتم الأولاد وفجيعة الأهل والاصحاب

ولأمر ما لم ير السائق الطفل السيء الطالع وكان سائراً بأقصى سرعته و لما قارب الجسر لوح الوالد الحزين باشارة الخطر فتزفق السائق فى سيره وقلل من سرعة القطار ولكن بعد أن نفذ السهم و راش القضاء الطفل فى مقتله وتقطعت أوصاله إربا إربا وتناولت العجلات جثته بالتمزيق والتشويه

صرخ الرجل صرخة دوى رنينها فملأ أرجاء الفضاء وصاح بأعلى صوته . ولدى ! ولدي !

وكان القطار فى هذه الفترة على كثب من الرجل فروع الركاب

صدى هذا الصوت الصارخ ووقف القطار وهرع الناس الى الرجل هلعين فزعين والتفوا حوله يسألونه ما باله ؟ فألجم لسانه ولم يواته بيانه وأشار الى محل الكارثة ثم سقط مغشيا عليه من هول الصدمة .

أسرع الناس لأغاثة ذلك البائس الموتور وبعد مدة عادت اليه حالته الطبيعية وأفاق من غشيته فجعلوا يواسونه ويخففون من آلامه . وفي هذه الفترة طير الخبر المشؤوم الي أم الفقيد فسرعان ماجاءت تولول وتصيح تتعثر فى أذيالها تارة وتتخبط فى مشيتها أخرى . وكانت كلما تقدمت فى المسير خيل اليها أن الطريق نكصت على عقبيها وبدأ الجو أمامها مجللا بالسواد وظهرت لها الدنيا في أبشع منظر

وما إن وصلت مكان الحادث حتى صاحت صيحة من أعماق صدرها كاد ينخلع لها قلبها وتذوب حشاشتها ثم زفرت زفرة أوشكت معها ان تلفظ النفس الأخير لولا ان الله سلم وانتشلها من براثن الموت .

ثم انكبت على اشلاء ولدها وترامت فوق بقاياه فخف الناس اليها وطفقوا يخففون من لوعتها . بعد ذلك أخذ الوالدان المنكوبان يندبان وحيدهما ويبكيان ما شاء الله لهما أن يبكيا والمجتمعون يصبرونها على صدماتها الجلل وخطبهما الجسيم

ثم جمعا أشلاء طعامها الراحل وعادا إلى دارهما مشتتى البال مفطورى الفؤاد منكسي الرأس حسرة وأسي من عظم ماحل بهما وهول ماأصابهما وقد احتسباه ذخراً لهما عند الله تعالى

وقد شكر الناس والحكومة للرجل جليل صنعه وواسوه بما يخفف لوعة قلبه الحزين لأنه ضرب المثل الأعلى للتضحية الحية فى سبيل الانسانية

وأخيراً أيها الوالد الكريم المحزون لقد بذلت أغلى شيء عندك هبة للوطن في الوقت الذى يضن فيه الأثرياء ويبخل فيه الكرماء . فأكثر الله من أمثالك وجعلك قدوة صالحة لمواطنيك وعوضك الله خيراً فى فقيدك الراحل

بين الحديقة والنيل

هناك على الضفة اليمنى للنيل السعيد وعلى مقربة من جسر الخديوى اسماعيل روضة أنيقه فسيحة الارجاء مخضرة الأعشاب باسقة الدوح متهدلة الأغصان باسمة الأزهار فواحة العبير تسحر الألباب بجمال روائها وتستميل الأفئدة بعطرها الشذى ومنظرها الجذاب

هناك جمعت الطبيعة روائع آياتها وبدائع فنها فكانت تبدو

أمام الناظر فى حلة قشيبة موشاة بطوائف شتى من الزهور بين عقيقية ومرجانية وكهرمانية وبيضاء ناصعة

هذا عدا بساطها السندسي الأخضر وطرقاتها المعبدة المفروشة بالرمال الصفراء الفاقعه وأرائكها الممدودة هنا وهناك على جانبي الطريق

دب السأم الى خلدى المكدود ضحوة يوم من جراء وفرة الأعمال لدى وتشعب مناحى التفكير عندى فلم أجد مناصا للتخلص من تلك الضائقة سوى الذهاب الى احدى الغياض والتمتع بمشاهد الطبيعة الرائعة الفتانة

أطلقت أعنة العنان أنا وصاحب عزيز على وماهى الا دقائق حتى وجدنا نفسينا أمام منبع سحر الطبيعة ومهبط سرها ووحيها نعم وجدنا نفسينا أمام الغيضة الآنفة الذكر فولجنا بابها وخطونا عدة خطوات جاسنا إثرها على احد المقاعد المصفوفه وكانت جلستنا بجوار رجل شامى متمصر

مرت على مكثنا بالحديقة دقائق معدودة فأحسسنا ببرد الراحة ينفذ الى شغاف قلبينا ومن ثم يعطر ثنيات الفؤاد بنفحاته العذبة ويفرغ في مناحى الضلوع رحيق الراحة وسلسبيل السرور

وبينما نحن جلوس واذا بنهقة عالية مغرية النغم خلابة الجرس تحملها الأثير إلى مسامعنا فتلقتنا بلهفة ويسرة عاطفة نهتدى إلى مصدر

ذلك اللحن الموسيقى الخارج على قوانين الآداب الساخر بتعاليم الأخلاق

وقع نظرى على امرأتين قد اتكأتا على مقعد قبالتنا احداهما آنسه وهى صاحبة الضحكة الشائنة والأخرى سيدة يغلب على ظنى أنها أم للاولى ولقد كانت مسحة اليهودية تعلو وجهيهما السافرين القبيحين ولما أحستا بنا جعلت الفتاة ترشقنا قد وكبتا بنظرات متهتكة منبعثة من عينين صغيرتين ملؤهما الخبث والمكر فى محيا ما وقع نظرى على أقبح منه فى حياتى .

و بعد أن أيقنت أنها متجه أنظار الجالسين الساخرين أخرجت من حقيبتها الصغيرة لفافتى تبغ ثم أشارت إلى شرطى الحديقة المحافظ على الآداب والنظام فاتجه نحوها مسرع الخطى فناولته احدى اللفافتين وطلبت اليه أن يبحث عن عود من الثقاب ليشعل بها السيكارة فذهب وعاد باللفافة وقد أوقدت فأشعلت منها اللفافة الأخرى وجعلت تشرب هى وأمها على مرأي ومسمع من النظارة

هاجت ثورة حقدينا على تينك الماجنتين وشب لهيب الانتصار للفضيلة وتأجج بين جنبات صدرينا وطفقنا نرمقهما بنظرنا الشذر ونتعجب من تلك الوقاحة البالغة منتهاها

وأخذت وأخذ صاحبي كل منا ينظر الى أخيه نظرة استغراب واستفهام و يلقى على مسامعه تلك الكلمات الحائرة . أتدهورت

الأخلاق الى هذا الدرك من الانحطاط ؟ أبلغت القحة بالنفوس الدنيئة الى هذه الدرجة المزرية المعيبة ؟ التي يندى لها جبين الفضيلة خجلا وحياء.

وانا لكذلك واذا بصاحبنا الشامى يقرع أذنينا بتلك الكلمات (خففا من غلوائكما واخمدا جذوة حفيظتكما ودعاهما تلهيان كما تبغيان وتتخلصان من هموم الدنيا واكدارها فما يغنى غضبكما ولن يثمر نصحكما ولا تأنيبكما فنحن في القرن العشرين . عصر المدنية والحضارة والحرية) واخذ يتلمس لها الاعذار ويتصيد الحجج الواهية الواهنة . ولقد وقف امامنا موقفا غير مشرف لم نستطع معه المكث بالحديقة فدعوت صاحبي الى القيام من هذه البقعة الموبوءة والبيئة الفاسدة وأشار على بالذهاب الى النيل حيث الأمواج المصطخبة المتلاطمة والمياه العذبة الجارية وحيث الزوارق والسفن الماخرة فى عبابه المتبخترة فوق صفحته فاستصوبت فكرته وسرنا والكمد يقطع فى احشائنا اسفا على الأخلاق الضائعة والفضيلة المنتحرة ثم تفكر طويلا ولم نسر كثيراً حتى التقينا بدرج ينزل الى الشاطىء الأيمن للنيل فهبطنا ذلك السلم وتقدمنا قليلا الى الامام ثم افترشنا ربوة افاضت عليها يد الطبيعة حلة خضراء من نبات رخو غض زاهرا لنضرة لدن الاهاب

قعدنا وارسلنا النظر على مداه فما كان اشد بهجتنا عند ماهب نسيم الضحى رفيقا رفيقا يلمس صفحة الماء الفضية اللالاءة وقد انعكست عليها اشعة الشمس فبدت كالزئبق الرجراج . تنفذ بروقها الماعة الى حنايا النفس فتنفث فيها السحر الحلال وتخلع عليها حلل الغبطة والسرور مما يذهب بشجون الانسان واحزانه

وما كادت النفس تستجم الراحة وتأخذ متاعها من هذه المناظر الطبيعية الأخاذة حتى اقبل زورق يديره نوتى وقد جلس فى مؤخرته فتاتان غريبتان فى عنفوان الشباب وريعان الفتوة سافرتى الوجه عاريتى الساقين الى الركبة انيقتى الملبس بارعتى الجمال

مر الزورق امامنا وغاب عن اعيننا ومضت مدة ليست بالكبيرة واذا بالفتاتين تمتطيان ظهر الزورق منفردتين وتقوم احداهما بتسييره وكانت تلك الفتاة كلما غمست طرفى المجذافين فى الماء وحركتهما دار الزورق حول نفسه وما زال بهما كذلك حتى منتصف النهر وهناك تعذر عليهما توجيهه وكان دورانه فى هذه البقعة واضحاً جلياً وكان بالقرب من الزورق عدة زوارق اخرى منتشرة فى عرض النهر يمتطى كل واحد منها شابان او ثلاثة . فلما رأى الفتيان حيرة الفتاتين جعلوا يتوافدون عليهما من كل صوب ويحيطون بهما من كل جهة ولما تكاثر الشبان حولهما تقدم اليهما فتيان غريبان وشدا زورق الفتاتين الى زورقهما بواسطة حبل من الليف . ثم

ساق الشابان زورقهما ناحية الشاطىء يتبعه زورق الفتاتين فلما وصلوه نزل الفتيان ثم أخذا بيدى البنتين فنزلتا الى الشاطىء ولا أثر للحياء فى وجهيهما الفاتنين ثم صعدتا إلى الشارع تتأبط كل منهما ذراع أحد الشابين وساروا فى هيئة يمجها الذوق وتتبرأ منها الفضيلة

***

هكذا أمام الحكومة تذبح الفضيلة جهاراً فى وضح النهار وليس ثمت من يحنو عليها أو يهتم لأمرها

هكذا تنفث الغربيات فى هذا البلد الأمين سموم المدنية الغربية الفتاكة وتنشر فى المجتمع المصرى السريع التأثر المغرم بالتقليد اوباء الاباحية . هكذا تمثل الغربيات فى الطرق والأماكن العامة روايات الحب البذىء وتعرض امام الشبان والفتيات اقبح صور الخلاعة والمجون

لقد ساءت سيرة شبابنا وخرجت فتياتنا على التقاليد القومية وتمردن على القوانين الدينية . لقد تأخرنا وأى تأخر أكبر من فساد الأخلاق وفشو الأمراض الخطرة فى جسم الامة

وإنما الأمم الاخلاق مابقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

متى يعنى أولياء الأمر فى مصر بصد ذلك التيار الجارف الذى يوشك أن يلتهم المصريين ويذهب بالصبابة الباقية من الحياء والكرامة

متى يستيقظ شبابنا وفتياتنا الى نبذ تعاليم الغربيين ومدنيتهم المموهة بالزور والبهتان المحتوية لجميع النقائص والمخازى

أفيقوا أيها المصريون وأحيوا نهج آبائكم وسنن أسلافكم لعلكم تتخلصون من هذا الداء الوبيل والشر المستطير

اعملوا للوطن ولنصرة الوطن ولخلاص الوطن من هذه الوصمات الخلقية المرذولة وأعيدوا للدين الكريم سالف عهده وللخلق الفاضل سابق مجده (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله) وفقنا الله جميعاً إلى مافيه الخير والفلاح

اليتيمة

اقتطفتها يدالمنون وأدرجت بين أكفانها سعادةزوجها الحسير حسن افندى واصبحت فاطمة الوضيئة المحيا الصافيةالفؤاد . بلا أم

لم تجد فاطمة صدرا حنونا بعد ان رقدت امها رقدتها الأخيرة الا صدر ذلك الشيخ الذى اربي على الخمسين و بضعة من اقارب أمها لا يتجاوزون الأربعة

تتابعت الايام وحسن افندى يبذل جهده فيسبيل راحة كريمته وادخال السرور عليها حتى كادت تنسى ذكر هذه الصدمة المؤلمة التى صدعت فؤادها وقطعت مرائرها واخذت آثار المصيبة تنقشع عن مخيلتها رويداً رويداً حتى اضحت بيضاء ناصعة لا يشوبها سوى ندوب طفيفة تردد عليها اطياف الذكريات القديمة

بيد ان الوالد كان يعانى الآلام المبرحة من حراء عزو بته فلما ضاق صدره و بلغ به الجهد مبلغه طلب يد (ام احمد) وهى ثيب فى الرابعة والثلاثين من عمرها سمراء اللون مزعزعة العقيدة الدينية لا تكترث بثواب ولا عقاب كأن قلبها قد من صخر لا يعرف الشفقة ولا يحلم بالرحمة . لها ولد يدعى احمد من رجل متوفى

فما أسرع مالبت ذلك الطلب وهى العارفة بقصة الرجل من بدئها إلى منتهاها

زفت العروس الجديدة الى زوجها وفي الليلة الأولى التى بنى بها فيها راح يلقى على مسامعها مطالبه وقوانينه التى شاء أن تسير عليها فكان لا يرى ولا يسمع سوى ايماءة الايجاب مصحوبة بألفاظ الرضاء والقبول

ولقد كان الاهتمام بأمر ابنته والعمل على اسعادها بشتى الوسائل فى مقدمة هذه المطالب فكانت تجيب بين آن وآخر (انها ابنتى انها أخت احمد) سأوفر لها أسباب السعادة جهد طاقتى

ترك الرجل إلى امرأته أمر ابنته وألقى اليها قيادتها ووقف يراقبها عن كثب فعملت المرأة مع البنت ماجعله يقوى ايمانه من جهتها و يعتقد أنها تعاملها معاملة تقصر دونها الأم الرؤوم

فركن اليها واستكان قلبه . ومكثت فاطمة بضعة أشهر وزوجة أبيها تلاطفها وتحنو عليها كما تحنو على ابنها فلم تحس فى

هذه الفترة بأى منغص ولم تجد ما يسوؤها أو يكدرها

ولكن الدهر الذى كتب لها الشقاء أراد أن يبر بوعده فحرك لواعج الغيرة والحقد فى قلب المرأة ضد ابنة زوجها بغير سابق جريرة ولا ارتكاب ذنب

ولكنها الموجدة التى أملاها عليها فؤادها الحقود وخلقتها لها عاطفتها الدنيئة فكم كان يؤلمها ويؤجج سعير الحزن والحسد فى أحشائها . ان البنت هى شاغل أبيها الذي لا يفتر يسأل عنها كل آن وأنها مالكة قلبه وليه

فبدأت خطة العسف مع الحمامة الوادعة وأخذت تسيمها الخسف ألوانا وتذيقها من العذاب مالا طاقة لها به . والبنت راضية صابرة لاتفكر فى أى مكروه يصيب امرأة أبيها ولسذاجتها وشدة خجلها وكرم عنصرها رأت أن تتجرع مرارة العيش بنفس راضية ولم تسول لها نفسها فى يوم ما أن تشتكي لوالدها ماتلاقيه من الهوان والمعاملة القاسية مخافة أن تنغص عليه معيشته وتعكر مابينه وبين زوجه وتكون سبباً فى فساد حياتهما الزوجيه

وقد استغلت هذه الزوجة الشريرة سكوت الفتاة فافتنت فى ابتكار صور الاذلال والاهانة . وكانت تقتر عليها فى كل شىء وتتصدى لمحاسبتها على كل شىء وتؤثر لابنها مالذ وطاب دون أن تطلع عليه الفتاة أو تراه

وهكذا أصبحت حياة المسكينة قطعة من الجحيم تلتهمها فى شدة وتهصر عودها فى فظاظة وقسوة . تقضى اليوم فى ابتئاس وعذاب حتى اذا هجم الليل ومحا آية النهار وآب من حانوته الوالد المخدوع ردت الحياة قليلا إلى نفس الفتاة لأن زوجة أبيها كانت تتكلف اللطف فى الوقت الذى يكون فيه أبوها حاضراً .

تلك هى الحالة التى تركنا عليها هـذه الأسرة ثم افترقنا بعد ذلك ثلاث سنوات متواليات انقطعت عنا فى خلالها أخبار الفتاة البائسة

وفى غضون العام الرابع وقفت على مانم فى شأن فاطمة المهضومة بل وقفت على الفصل الختامي لهذه الرواية المؤلمة

تتابعت الشهور والسنون والمرأة لا تزداد إلا تبجحاً واماما فى القسوة واشباعا لشهوتها الجهنمية ممن جعلتها عدوتها اللدود ولـكنها لم تحاول أثناء ذلك أن تثير غضب الرجل على ابنته ولا أن تجهز على بقية العطف والشفقة التى يحتفظ بها لوحيدته والتى كانت نصيبها من الحياة لأنها تعلم علم اليقين أن الرجل كلف بفتاته أشد الـكلف ويكاد من شدة تعلقه بهـا وتفانيه فى محبتها وولعه بمرآها أن يعبدها لو لم ينفرد الله جل وعلا بحق العبادة

هذا ما كان من أمر المرأة أما فاطمة فانها كما أسلفنا كانت تشتفى من آلامها المبرحة بدمعها الهتون تسكبه من مآقيها على انفراد

بعيدة عن العشيرة والأهل لعلها تطفىء النيران المتقدة بين جوانحها وقد تذهب إلى خالاتها وجدتها لأمها فتقطع بينهم جزءاً من النهار فراراً من كيد امرأة أبيها وتناسيا للهموم والأحزان التى طالما كحلت جفنيها الفاترين بالسهد والأرق . ولقد كانت تكتم سرها بين طيات فؤادها المعنى وتضن به أن يطلع عليه أبوها أو أهل والدتها .

ولما أتم الدهر تمثيل روايته إلى هذه النقطة على مسارح الأيام أراد أن يدور دورته ويسير على خطته التى استنها لنفسه فرأى أن ينتصر لفاطمة المكلومة التى قضت ربيع حياتها فى هم وتكد من زوجة أبيها والتى لم يكن ابنها احمد الا حدثا غريرا ساذجا أشفق عليه أبو البنت فأدخله المدرسة وأجرى عليه كل ما يحتاجه والتى لم يكن لها ولا لابنها مورد يرتزقان منه بيد أنهما كانا يمرحان فى خيرات الرجل وليس ثمة رقيب ولا حسيب

انسل جسم فاطمة من كثرة ما تعانيه وضمر عودها . وشاء الله أن يطلع والد الفتاة على ما تكابده كريمته وقد نبهه إلى ذلك تحول جسمها ونفور طبع الزوجة وتغير أخلاقها

وهنا اختلى بها وأراد أن يجتلى حقيقة أمرها ويتوصل إلى مكنون صدرها . فأبت فاطمة بادىء ذى بدء ونفت كل سوء يصل اليها من امرأته

ولـكنها تحت الالحاح الشديد و بعد أن أرهقها بالأسئلة أفضت اليه بكل ما حدث وأوقفته على الأدوار التى مرت عليها فما كان أشد دهشته عند ما ختمت فتاته قصتها المثيرة للشجون والأسى . ثم انحدرت دموعه حسرة وأسفاً على ما نالها على يد الظروف القاسية من هذه المرأة الغليظة القلب

وانهما لـكذلك واذا بأم احمد تطرق باب الحجرة التى كانا بها وما أن رأى وجهها حتى دوى صوته فى وجهها بهذه الـكلمات (انت طالق ثلاثا أنت طالق ثلاثا) وانتشل ابنته من براثن الأحزان ومخالب الأذي

فتيقظوا أيها الآباء واتقوا الله فى أولادكم وارحموا مستقبلهم الضائع وأملهم المحتضر وارقبوا وخز الضمير فى تغاضيكم عنهم واهمالـكم لشأنهم فانهم عنوانـكم الذى ينم عليكم وزهرتـكم التى تعطر ذكركم اذا زكت وتزرى بكم اذا لعبت بها أيدى الفساد وحاطت بها جيوش الرذيلة

ولتعلموا أنها جناية لا تغتفر ان تستهينوا بفلذات اكبادكم وحبات قلوبكم إلى هذا الحد

ولتذكروا قول الشاعر

وانما اولادنا اكبادنا تمشي على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عينى من الغمض

غلطة الاب

عينته الحكومة فى وظيفة عالية بمركز بنها وهو فى الخامسة والاربعين من عمره وله بنتان كبراهما تبلغ الثالثة والعشرين والصغرى في نهاية الحادية والعشرين

وفى منتصف العام الاول من تعيينه تقدم اليه شاب حائز لاحدى الشهادات العالية ويشتغل بالتدريس فطلب يد الكبرى من بنتيه فرفض الرجل بحجة أن أسرة الشاب لا تضارع عائلته وأن المهر قليل لا يليق بمقام ابنته . فرجع الشاب أسفاً على عقلية هذا الغرير بالرغم من دخوله فى سن الشيخوخة ولم يحاول العودة لطرق هذا المسلك الوعر مرة ثانية

مرت سنتان ولم يطوف على دار الرجل فى خلالهما خاطب وفي أوائل العام الثالث طلب أحد أعيان البلدة إحدى البنتين من أبيها فرغب الرجل عن هذه الزيجة أيضاً لأن المهر قليل

توافد الخاطبون بعد ذلك للمصاهرة فكان والد الفتاتين يتعنت فى تقدير المهر واشتهر أمره فى البلدة فيئس الناس من بنتيه وكفوا عن مخاطبته فى هذا الأمر ورأووا ان الكلام معه فى شأن كهذا يعد ضربا من الجنون

تتابعت الأعوام وقد أربت الكبرى على الثلاثين والصغرى على الثامنة والعشرين فحزن أهل البلدة على البنتين التعستى الحظ اللتين

عاشتا فريسة لهذا المذنب الجائر الذى كان حجر عثرة فى سبيل اسعادهما وتحقيق آمالهما . فتقاطروا عليه مرة أخرى ظنا منهم أنه رجع عن صلفه وتشدده وان تلك السنوات العديدة قد ألانت قلبه وجعلته يتسامح فى أمر المهر ولا سيما أنه لم يظفر بصهر فى السنوات الأخيرة غير أنك عبثا تخاطب المفتون وتحوله عن الصورة التى تمليها عليه نفسه وشيطانه فلقد عاد الخاطبون من حيث أتوا وعرفوا أن فروضهم إن هى الا أضغاث أحلام صورها لهم الوهم ونسجتها أيدى الخيال . فانقلب حبهم لهذا الرجل بغضا وتودهم اليه قطيعة وابتعادا ونزلت منزلته عن الاجلال والتمجيد الذى كان يتمتع به

ثم تحولوا عن هـذا الباب الذى اوصد دون وصولهم الى بغيتهم واضمروا فى نفوسهم عدم مفاتحته فى هذا الشأن مرة اخري

كل ذلك والفتاتان وأمهما يسبحن فى بحار من الحزن على هذا الحظ الكئيب والأب الصخرى الفؤاد الذى كلمته الأم غير مرة ورجت منه ان يخفف من شدته فرارا من العاقبة الوخيمة

غير أن الرجل الذى لم ينزعزع عن عقيدته امام عشرات الرجال لم يكن لينهزم امام امرأة مستضعفة بل صمم على تحقيق أمنيته ولو كان الثمن غاليا وفى خلال الفترة الأخيرة تعرفت الفتاة الصغرى بشاب كان دائم التردد عل المنزل فوجدت ان فؤادها يرتاح لرؤيته وصدرها ينشرح عند لقائه

ثم لاحظت منه امورا لم تعهدها من قبل فهو يسترق منها النظر كلما وجد الفرصة سانحة وإذا تصادف والتقى نظره بنظرها اطرق استحياء واحمر وجهه خجلا

تكررت المواقف فاشتعل لهيب الحب فى قلبيهما ولم يطل الكتمان كثيرا فكاشفها بحبه لها وكلفه بها فنثرت له كنانة صدرها وكاشفته هى الأخرى بما تكنه له من الحب الدفين بين ثنايا أضالعها

لبثا على هذا النسق مدة طويلة برح بهما الحب فى اثنائها وذهب بهما الوله كل مذهب فكأنهما كانا يستعذبان ما فى هذا الحب من عذاب ويستمرآن ما فيه من مرر وصاب ثم تعاهدا على الزواج وبعد ذلك حلفا يمين الاخلاص والوفاء . ولكنهما كانا على علم من أمر والدها وايقنا أن الزواج قد يكون مستحيلا لأن الشاب متوسط الحال ولا يملك من المال ما يملأ عين ابيها الشره

مكث الحبيبان كثيرا يفكران وهما لا يجدان مخرجا من هذا المأزق الحرج فعقدا النية وتكاتفا على جمع المهر وبعد ان احرزا ما ساعدهما الزمان به عرضه على ابيها فرفض

ضاقت بهما الحيل اخيرا ونفذ صبرهما ففاتحها فى امر الهرب الى القاهرة لأنه المنفذ الوحيد لتحقيق امنيتهما فتلكأت الفتاة بادىء الأمر ثم عادت فحبذت الفكرة التى لا مناص منها

وفى فجر اليوم الذي صمما على مغادرة المدينة فيه خرجت الفتاة من

دار ابيها دون ان يحس بها احد وماوطئت قدماها ارض الشارع حتى وجـدت حبيبها فى الانتظار وما إن وقعت عينه عليها حتى هرع اليها وسارا فى حذر خوفا من ان يعرفهما احد ومازالا كذلك حتى وصلا محطة السكة الحديدية فركبا القطار الى القاهرة ولما دخلاها نزلا فى فندق الى ان اكتريا محلا للسكني واشتريا كل ما يحتاجانه من اللوازم المنزلية

وبعد يومين من مكثهما بالقاهرة ذهبا إلى المحكمة الشرعيـة وهناك كتبا عقد القران تبعا للتعاليم الدينية واصبحا زوجين شرعيين فرحين بما منحا من السعادة التى طالما تمنياها على الايام هذا ما كان من امرهما

أما ما كان من أمر اهلهما فان أم البنت تفقدتها فى الصباح فلم تعثر لها على أثر فأسقط فى يدها وراحت تسأل عنها اختها وأباها وخدم المنزل ولـكن بدون جدوى فبثوا الارصاد والعيون يتجسسون اخبارها فى البلدة وفى البلدان المجاورة . ولما لم يجد بحثهم نفعا وقد ظهر ايضا أن الفتى اختفى عن اهله فى اليوم الذى غابت فيه البنت تأكد الرجل أنهما تواطأ على الهرب واختفيا معا

فأبلغ مخفر الشرطة بخبرهما واوصافهما فجدت الحـكومه فى البحث عنهما وارسلت الجواسيس فى طلبهما

سافر والد البنت بعد ذلك إلى القاهرة ومكث بها اربعة ايام

يسأل و يستدل و يذهب إلى المحافظة ليزود الجواسيس بالمعلومات .
وذات يوم بينما هو مجد فى سيره اذا به يرى نفسه وجها لوجه امام غريمه فأمسك بتلابيبه واستغاث برجال الشرطه فقبضوا على الشاب وذهبوا به الى المحافظة وهناك وقف امام المحقق واعترف بكل شىء وسرد القصه فى طمأنينة وصدق فطلب منه المحقق عقد القران فأبرزه لهم ولما وقع عليه نظر والد البنت كاد يغمى عليه من شدة الحزن و بعد ظهور الحقيقة ارسل المحقق مع الشاب جندين وامره ان يذهب معهما و يحضر زوجته فجاءت واعترفت هى الأخرى بما يقوى حجة زوجها فبرأته العدالة وخيرت الزوجه فاختارت زوجها فخرجا وخرج ابوها يعض بنان الندم على ما ناله بسبب تصرفه السيء وعاد ثلاثتهم الى البلدة بعد ايام اطمأن فيها اهل الفريقين وقبل ابوها الزواج صاغرا وذهبت البنت بمجرد وصولها الى منزل زوجها

أما اختها الكبرى فظلت عانسا ولم تتزوج طيلة حياتها وقد جنى الرجل على نفسه وعلى فتاتيه جناية لا تغتفر و نالته من جراء حمقه ما وقف أمامه مكتوف اليدين وما كان فى غنى عنه لو أنه فكر تفكير العقلاء ولم يتبع تلك السنة الخاطئة الآثمة المنتشرة فى عقول كثير من أولياء أمور الفتيات اليوم ؟

محمد عبد الغنى على حسن
بالمعهد الأزهرى

تقريظ

جاءتنا عدة قصائد لتقريظ الكتاب من حضرات انصار الأدب بالقسم الثانوي ولضيق المقام لم نتمكن من نشرها . لذلك نعتذر لهم مع تقديم عظيم شكرنا لحضراتهم وفيما يلى قصيدة الاديب الفاضل الشيخ الجندى

كتاب حفل بالمكرمات ... ونبراس مضيء فى الحياة

يصورها بأسلوب حكيم ... ملىء بالنصائح والعظات

ويربأ بالنفوس عن الدنايا ... وعن خوض الذميم من الصفات

رأيت به اتساقا وانسجاما ... ونقدا لاذعا للمنكرات

واحساسا وثوبا مستنيرا ... ينم عن النفوس الوائبات

وروحا مشرق الجنبات حيا ... يدل على الكياسة والثبات

يفيض بلاغة ويسيل سحرا ... ويحكم مارآى من حادثات

ويعطى صورة عمن أساءوا ... وكانوا قادة فى المفسدات

ويشرح ما اصاب البنت يوما ... من الألم المبرح والشكاة

وما كانت تلاقى من عذاب ... على ايد العماليق القساتى

قرأت فكنت مسرورا طروبا ... بهاتيك العظاة الغاليات

فأكرم بالكتاب وصاحبيه ... وانعم بالجهود الصادقات

وأرجو ان ينال الفوز فيما ... يمثل من روايات الحياتى

عبد الرحمن الجندى — بالمعهد الازهرى

صفحه	سطر	خطا	صواب
١٠	١١	متباعضة	متباغضة
١١	١٣	حل	الرجل
١٣	١٤	يقول	تقول
١٥	١٦	المتبرمة من الحياة	بالحياة
١٨	٧	ضانت	ضنت
٢٠	١٦	متقلا	مقتلا
٢٠	٩	ال	إلى
٢٢	١٥	يسولون	يتسولون
٢٦	١٦	غتصه	غصته
٣٢	١٩	وفى	وأفنى
٣٣	١٣	المرمى	المرض
٣٦	٤	حطه	حظه
٣٧	٨	تجتمعون	يجتمعون
٣٧	١٣	ويتفوهن	يتفوهن
٤٣	٣٩	نفستة	نفسه
٤٥	١١	صمابهما	مصابهما
٤٨	٨	محيا	محياها

obeikandl.com